

كذب الشهود في المحاكم

«العدالة السياسية» تستدعي شه

استعانت لجنة التحقيق الدولية في جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري، التي انطلق عمل المحكمة الدولية الخاصة بلبنان بعد الأخذ بالتقدم الذي احرزته تحقيقاتها (بحسب الفقرة 2 من المادة 19 من الاتفاقية المرفقة بقرار مجلس الامن 2007/1757)، بشهود زور نشرت اسماءهم وافاداتهم في تقاريرها الى مجلس الأمن) لسجن أشخاص لنحو أربع سنوات تعسفاً. لم يخضع المسؤولون عن جريمة الاعتقال التعسفي للمساءلة أو المحاسبة القضائية، وبالتالي ما الذي يمنع تكرار الاستعانة بشهود زور أمام المحكمة الدولية خصوصاً بعدما تبين أن هذه الظاهرة تكررت في محاكم دولية أخرى؟

ما يميز المحكمة الدولية الخاصة بلبنان عن غيرها من المحاكم الدولية هو أن الادعاء العام فيها سيستفيد من غياب تدقيق الرجال الاربعة (برجّح أن يضاف اليهم آخرون) الذين اتهموا بالضلوع في الجريمة في صدقية ادعاءات الشهود. وهل ان مصيرهم، لو حضروا أو أحضروا الى لاهاي، سيختلف عن مصير الرئيس

اليوغوسلافي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش الذي كانت قد اتهمته المحكمة الدولية ومات في ظروف غامضة في 11 آذار 2006 بعد تمكنه من فضح بعض شهود الزور علناً؟ تنشر «الأخبار»، في سلسلة من المقالات، هذا أولها، عشرات الافادات التي أدلى بها شهود ادعاء في المحاكم الدولية (محاكم يوغوسلافيا وسيراليون ورواندا وتيمور الشرقية)، والتي تدل على كذب وافتراء وانتحال صفة واحتيال، بهدف احقاق ما سمّاها المتحدث الرسمي السابق باسم المحكمة الدولية لرواندا كينغسلي موغالو «العدالة السياسية»

نبدأ بعرض استجواب الرئيس اليوغوسلافي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش لـ«الشاهد» سلوبودان لازاريفيتش الذي استند المدعي العام الدولي الى اقواله، من بين اقوال آخرين، لاتهام ميلوسيفيتش بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية. أحضر لازاريفيتش الى قاعة المحكمة في لاهاي يوم 19 شباط 2003 مدعياً انه ضابط استخبارات صربي، رفيع المستوى بينما نفى ميلوسيفيتش ذلك قائلاً انه منتحل صفة، سألته ميلوسيفيتش أمام المحكمة:

■ «أنا أسألك يا سيد لازاريفيتش لأن لا أحد يعرفك في أمن الدولة ولا حتى الشخص الذي تدعي أنك كنت بامرته، ويبدو الامر غريباً بالنسبة لي. أنت تصفه (في الافادة الخفية) بأنه أشقر ويبلغ 40 سنة، وتقول انه كان طبيباً في تعامله معك. ليس كذلك؟

■ «الشاهد» لازاريفيتش: هذا ما أقوله. ميلوسيفيتش: هذا ما تقوله. حسناً. هل تعرف لقب هذا الشخص الذي يدعى بيبو؟ لازاريفيتش: بيبو.

■ ميلوسيفيتش: هل تعرف لقبه؟ لازاريفيتش: كلاً، أعرفه بأنه الكولونيل ببيوفيتش، ويطلقون عليه اسم بيبو.

■ ميلوسيفيتش: بيبو لقب الكولونيل ببيوفيتش. أنت ذكرته مرتين. والأّن تكرر ذلك. هل كنت تعلم أن رفاقه كانوا ينادونه بيبو تسيغا (أي بيبو الجعري بالصربية)؟ لازاريفيتش: من الصعب التصديق بأن الرجل كان له هذا اللقب لأنه يفتقد من مكانته.

■ ميلوسيفيتش: لماذا كان يلقب بذلك؟

لازاريفيتش (متوجهاً الى القاضي بالانكليزية): حضرة القاضي هل لهذا الامر صلة بالموضوع؟ القاضي (البريطاني) ريتشارد ماي: لحظة. دعه يسأل وسأرى.

■ ميلوسيفيتش: قلت بنفسك إنه رجل أشقر الشعر وعمره 40، فهل كنت تعرف أنه حصل على لقبه بسبب سواد شعره وسمار وجهه؟ فهو لم يكن أشقر على الاطلاق وانت لم تره في حياتك. انت أكدت على وصفه كذلك بينما هو أسمر. انت سمعت به ولا تعرفه. هل كنت يوماً في المكتب السياسي؟

■ القاضي ماي: لا افهم السؤال سيد ميلوسيفيتش، أعد السؤال.

■ ميلوسيفيتش: سيد ماي، انه يصف ببيوفيتش. الشاهد يصف ببيوفيتش بأنه أشقر الشعر بينما كل من يعرفه يعلم بأنه أسمر وشعره أسود. هو اذاً يقول...

■ القاضي ماي: حسناً لننوقف هنا. ميلوسيفيتش: انه...

■ القاضي ماي: وصلتنا الفكرة... وصلتنا الفكرة. الكولونيل ببيوفيتش المعروف ببيو. (متوجهاً الى الشاهد) انت وصفته بشكل خاطئ كما قيل. سيد لازاريفيتش ربما يمكنك أن تتعامل مع ذلك...

■ لازاريفيتش: حضرة القاضي، ان الشخص الذي عزّف عن نفسه لي في اليوم الاول الذي التقينته هو الكولونيل ببيوفيتش المعروف باسم بيبو. لكن جميع الضباط، بمن فيهم السيد ببيوفيتش، كانوا يلقون شعرهم بشكل قصير جداً جداً.

■ لم يتوقف الرئيس اليوغوسلافي السابق، الذي كان قد طلب بأن يتولى الدفاع عن نفسه بنفسه أمام المحكمة (على الرغم من أنه لم يعترف بها كمحاكمة شرعية)، عند هذا الجواب

■ «لقد القي القبض عليك فقط بهدف الضغط عليك لتتبعني؟» «الشاهد» ماركوفيتش: نعم لهذا السبب اعتقلوني.

■ «لقد القي القبض عليك فقط بهدف الضغط عليك لتتبعني؟» «الشاهد» ماركوفيتش: نعم لهذا السبب اعتقلوني.

■ الذي يدل الى ان «الشاهد» يجافي الحقيقة، بل تابع استجوابه ليتبين أنه كان قد تقاضى أموالاً من المحكمة الدولية بعدما ادخل برنامج حماية الشهود. سألته ميلوسيفيتش:

■ «أنت قلت بأنك تقوم بهذا العمل (الشهادة أمام المحكمة الدولية) بسبب قناعاتك، لكن تبين لنا الآن أنك تقاضيت مالا في المقابل. كان دافعك الاساسي هو المال.

■ لازاريفيتش: هذا غير صحيح سيد ميلوسيفيتش.

■ ميلوسيفيتش: لماذا فعلت؟ لازاريفيتش: لأنني مقتنع.

■ ميلوسيفيتش: الى أي حد فعلتها بسبب قناعاتك أو مقابل المال؟ لازاريفيتش: (لا جواب).

■ ميلوسيفيتش: حسناً حسناً سيد لازاريفيتش... «شاهد» آخر هو رادومير ماركوفيتش، مدير الاستخبارات اليوغوسلافية ونايب وزير الداخلية السابق. سجنته السلطات الصربية استناداً الى توصية من المحكمة الدولية، وبعد مرور نحو 17 شهراً من الاعتقال في بلغراد أحضر ماركوفيتش الى قاعة المحكمة في لاهاي في 26 تموز 2002.

■ ماركوفيتش كان قد وقع، أثناء

■ اعتقاله، على نص افادة تشير الى أن ميلوسيفيتش أمر بتدمير أدلة تكشف أنه ارتكب جرائم في إقليم كوسوفو. سألته ميلوسيفيتش:

■ «لقد القي القبض عليك فقط بهدف الضغط عليك لتتبعني؟» «الشاهد» ماركوفيتش: نعم لهذا السبب اعتقلوني.

■ ميلوسيفيتش: هل صحيح أنهم وعدوك بحمايتك وبأنهم سيسجنونك وسيحاكمونك اذا لم تقبل باتهامي زوراً؟ ماركوفيتش: لقد شرحوا لي صعوبة وضعي وأعلموني بالعواقب التي يمكن أن تحصل، وكان البديل بأن أشير الى ميلوسيفيتش كمن أمر بهذه الامور التي تؤدي الى معاقبته. ميلوسيفيتش: هل عرضوا عليك هوية جديدة ومكاناً جديداً للاقامة ومالاً لك ولعائلتك مدى الحياة مقابل اتهامي زوراً؟ هل هذا صحيح؟ ماركوفيتش: هذا صحيح.

■ ميلوسيفيتش: هل كنت تعلم أن في العام 1988 وقّعت الجمعية العمومية للامم المتحدة اعلاناً ضد التعذيب بعد موافقة جميع الدول عليها؟ وأن المعاملة التي خضعت لها، أي اخضاعك للضغط وتهديدك بالعقاب، كانت ممنوعة؟

■ القاضي ماي: لا علاقة لهذا السؤال بالادلة التي قدمها هذا الشاهد هنا. لا علاقة على الاطلاق. هو يوافقك تماماً ويوافق على القضايا التي عرضتها عليه. بالتأكيد لن نقوم بمراجعة ما حصل في يوغوسلافيا لدى اعتقاله.

■ ميلوسيفيتش: سيد ماي، ان تصرفات نظام الوصاية في بلغراد متلازمة مع هذه الاتهامات الكاذبة. القاضي ماي: هذه هي بالتحديد

عندما ينتحل المجرم صفة الشاهد

■ ميلوسيفيتش. روى فاسيلكوفيتش بعد ادلائه بافادته أمام المحكمة الدولية في لاهاي: «اتصلوا بي من مكتب المدعي العام يوم اعتقال ميلوسيفيتش وسألوني اذا كنت مستعداً للمساعدة في سوق بعض مجرمي

فاسيلكوفيتش الذي كان الضابط المسؤول عن الوحدات العسكرية الصربية التي اقتحمت منطقة كرايينا الكرواتية حيث ارتكبت جرائم اباداة. وكان هدف الادعاء الحصول على اعتراف بأنه ارتكب هذه الجرائم بأمر من الرئيس

للمحكمة بأن هذا «الشاهد» المنعّ مطلوب في صربيا بسبب ارتكابه جريمة سرقة وهو فار من العدالة، لذا لا يمكنه السفر لأن ذلك قد يعرضه للاعتقال من قبل السلطات الصربية. وفي مطلع عام 2003 استدعي الى المحكمة في لاهاي النقيب دراغان

استدعي «الشاهد» المنعّ K41 يوم 6 ايلول 2002 فقدم افادته عبر الفيديو من مدينة بانجالوكا البوسنية. وادعى أنه لا يستطيع النوم منذ مشاركته بقتل 15 مدنياً خلال الحرب، وادعى انه يشهد ضد ميلوسيفيتش بسبب ذلك. وعندما سألته ميلوسيفيتش عن سبب عدم حضوره الى مقر المحكمة في لاهاي، وما اذا كانت لديه مشاكل في اوراق السفر انقطع الاتصال. وقبل عودة الاتصال ناشد المدعي القاضي «حماية الشاهد» عبر حذف هذا السؤال فوافق القاضي ماي.

■ ميلوسيفيتش: «سئلت في البداية عن سبب عدم امتلاك اوراقاً ثبوتية للسفر... (انقطع الاتصال) القاضي ماي: يمكنك السؤال عن امور اخرى.

■ ميلوسيفيتش: أنا ادقق في صحة اقوال الشاهد. وبدا لي بوضوح أنه مجرم.

■ المدعي العام: نطلب حذف كل هذه المعلومات عن الشاهد لأنها قد تساعد في التعريف عنه. كل هذا الجانب يجب حذفه من المحضر». وكان ميلوسيفيتش قد أثبت

الرسالة الأخيرة قبل الموت في السجن

رفضت طلباً تقدم به ميلوسيفيتش، قبل أيام من وفاته، للحصول على علاج طبي متخصص في عيادة خاصة بأمراض القلب في روسيا. وأكدت تقارير أطباء اسبان وروس وصرح ان موته جاء نتيجة حرمانه العلاج الطبي المناسب. وفي رسالة وجهها الى وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف قبل وفاته بأيام قليلة، عزا ميلوسيفيتش سبب رفض المحكمة علاجه بواسطة أطباء روس الى خشيتها من انكشاف «الخطوات المتخذة لتدمير صحتي». وأرفق بالرسالة تقريراً مخبرياً يشير الى ان اطباء المحكمة كانوا يزودون ميلوسيفيتش أدوية لعلاجه من الـ «توبركولوز» بينما لم يكن مصاباً به.

■ «ميلوسيفيتش لم يمّ في لاهاي. ميلوسيفيتش قُتل في لاهاي» بحسب رئيس الوزراء الصربي ايفيكا داتشيتش. الرئيس اليوغوسلافي السابق مات صباح 11 آذار 2006 في سجن سخفنينغن، حيث كان سجيناً في الجناح الخاص بالمحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة. وقد وصل عدد «الشهود» الذين سعى الادعاء العام الى الاستناد الى افاداتهم لادانة ميلوسيفيتش الى أكثر من 100 حتى وفاته. لكن ايأ منهم لم يتمكن من اثبات أنه أمر قواته بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضدّ الانسانية (راجع مقال نيل كلارك في عدد 21 آذار 2006 في الغارديان). وكانت المحكمة